الأدب التركي

الترك من تلك الأقوام التورانية التي تسمى علميا (أورال التاي) وهم من جنس المغول والمجر والفنلنديين، والدلالة على ذلك واضحة من تشابه لغاتهم المعروفة عند علماء اللغة باللغات الالتصاقية. وموطن الترك قلب القارة الآسيوية، في تلك المنطقة التي يحيط بها بحر قزوين وجبال التاي وأورال والتبت، بيئتهم جبلية تتخللها الوديان وتكتنفها الأحراش، طبيعتهم شحيحة قاسية في الأغلب.

وتتألف الشعوب التركية من عشائر تسمى أصغرها (سميا) وأكبرها (ايل)، ولكل عشيرة رئيسها ويسمى (أغا)، ويجتمع هؤلاء الرؤساء تحت رئاسة (القاغان). ويسمى مجتمعهم (قورولتاي) وهو أشبه شيء بدار الندوة عند العرب، لأنهم كانوا يدبرون فيه أمورهم ويتشاورون في شؤونهم من إعلان حرب أو إتمام صلح.

واعتنق الترك أكثر من دين على مر العصور، إذ اعتنقوا الديانة الشامانية، وللشماني إله السماء، وإله الأرض، كما عرفوا البوذية التي تسربت إليهم من الهند والمسيحية التي حملها إليهم المبشرون، كما عبدوا إله الخير وإله الشر أسوة بجيرانهم الفرس، واعتنقوا مذهب الفناء الذي دعا إليه ماني النبي الفارسي، ثم دخل عليهم الإسلام في القرن الثالث الهجري فدخلوا في دين الله أفواجا عن رضا وطواعية.

نشأة الأدب التركي

بعد أن تمزق ملك السلاجقة سنة 1300، فتح عثمان وولده أورخان شمال غرب آسيا الصغرى، فبنى العثمانيون دولتهم على أطلال دولة السلاجقة في الأناضول، فخلفوها في ملكها وورثوا عنها سلطانها وتراثها الأدبي. كما أخذوا عن الفرس الأدب، فتأثروا بهم كثيرا، إذ نظروا إل أدبهم على أنه مثال يحتذى به.

ودرج العثمانيون في بيئة روحية تميل إلى رفض الدنيا والتأمل في ذات الله وصفاتها... وكان ذلك جديدا على التركي خواض الغمرات، وفارس الهيجاء الذي عرف الحياة جهادا وجلادا

وهدما وتشييدا... لذلك فإنها قد عرفت جماعات صوفية، ومن ثم فقد عرفت مشايخ، فمدينة قونية عاصمة السلاجقة ببلاد الأناضول قد عرفت شيخا يقال له "بهاء الدين" ويلقب بسلطان العلماء، رحل إليها من إيران ومعه ولده جلال الدين فتعلم الصبي وتأدب وشب عن الطوق وكان موضعا لحب أبيه وإعزازه لغزارة علمه واشتهار فضله، فخلف أباه في مشيخته وأصبح من يدعى جلال الدين الرومي، فكان أعظم شعراء الصوفية، ألف كتاب المثنوى بالفارسية وهو عبارة عن منظومة صوفية في نحو ثلاثين ألف بيت، فكان مرجعا لمن أراد الإلمام بالعقائد الصوفية وبمبادئهم. كما ألف ديوانا كبيرا جّيدا من الشعر، فكان للمثنوى وهذا الديوان أبعد الأثر في بلاد قدر للشعر التركي العثماني أن يظهر فيها. كما تنسب إلى جلال الدين أبيات تركية هي أول باكورة للشعر التركي، يقول فيها (أنا أصطفيك من دون الأنام حبيبا كما قد تعلم، والكمد لا شك قاتلي إن لم تجد بوصال منك يحييني. لله ما أسعدها لحظة تلك التي أراك فيها إلى جانبي، سأتعلم لغة الترك، وأكب على الشراب أرشفه رشفا).

ترك "جلال الدين الرومي" بعد وفاته سنة 688 هـ، ولده الذي يدعا "سلطان ولد"، وكان قد لقنه تعاليمه وأهله لينشر دعوته من بعده... ففسر المبهم من معانيه، وبذلك أصبح لسلفه خير الخلف، ونال عن جدارة منصب جلال الدين الرومي، فاتسع على يديه انتشار طريقته المعروفة بالطريقة المولوية وعمرت بها القلوب بعد شرح غوامضها وحلّ رموزها.

ونظم "سلطان ولد" منظومة تركية سماها (رباب نامه) أي كتاب الرباب، وتعتبر أول محاولة جدية للنظم بالتركية العثمانية، وأقدم أثر شعري بهذه اللغة، وهو في شعره هذا لا يورد من الألفاظ العربية والفارسية إلا قليلا إلى جانب ألفاظه التركية، أسلوبه سهل خال من المحسنات اللفظية، ويعنى بالمعنى قبل عنايته بالألفاظ. ومن قوله في (رباب نامه) "اعلم أن مولانا جلال الدين الرومي قطب الأولياء، فألق السمع إلى قوله، وألزم نفسك أن تعمل به، فما كلماته الغر الحسان إلا رحمات من رب العالمين، وفيها للعين العمياء نور ترى به معالم طريقها، وإن لأستلهم الله قدرة لي على أن أوفيه حقه من مدح وتمجيد... ألا فلتدع ربك في صلاة باكية، ولتضرع إليه أن يمد عليك جناحا من رحمته، وقل له: اللهم فتح عيوني لرؤيتك واجعلني كالقطرة تسقط في

البحر اللجي وتمتزج بأمواجه وأمواهه، فتخلد خلود البحر إلى آخر الدهر)، وقد أقام في خلافته الصوفية ثلاثين عاما، ومات سلطان ولد سنة 712 هـ.

ولعلّ من عبر عن الروح التركية أصدق تعبير في عهد نشأة الشعر التركي هو "يونس امره" ومعنى اسمه "يونس العاشق"، وتذكر كتب التراجم أنه كان أميّا، فقال الشّعر منطلقا على سجيته، فقد كان ملهما، وشعره زاخر بالتعاليم الصوفية بلا تكلف ولا تعسف ولا شحذ لقريحة، وكان يخلو من زينة اللفظ. وكان تأثيره على سواد الناس أبلغ من تأثير جلال الدين الرومي وسلطان ولد، وذلك لوضوح معانيه وسهولة مراميه، يقول في مناجاة الله "إن سألتني يا إلهي فهأنذا أجيبك، أنا إن كسبت خطيئة فما ظلمت إلا نفسي، ولا قصدت بشيء ذاتك العلية يا ربي، الذنوب أرجاس، وأهلها جيف دنسة... إذا أردت لي النار فانظر إلي كيف أحترق! وحاشا لله أن يكون ذلك منك يا رب الأنام. وإذا ما أمتني فصرت ترابا، وامتلأت عيني ترابا، فأنت عليم بنيتي نحوك لأنك عليم بذات الصدور، ولا يخفى عليك ما ظهر وما بطن، ولكن هل يستحق إنسان مثلي وهو حفنة من تراب كل هذا القيل والقال، يا كريما يا ذا الجلال، أنا لا أملك سوى ذلك من جواب، وهذا كلامي والله أعلم بالصواب".

بهذا أتم الشعر التركي نشأته بفضل "جلال الدين الرومي" و"سلطان ولد" و"يونس امره".

عصور الأدب التركي

قسم حسين مجيب عصور الأدب التركي – بعد اطلاعه على التقسيمات– إلى:

1– العصر القديم (الأدب القديم): وله دوران، دور يبدأ في عهد السلطان عثمان الأول وينتهي قبيل عهد السلطان سليمان القانوني، فزمانه من القرن الثالث عشر إلى النصف من القرن الخامس عشر أو نحو ذلك (1300 – 1450 م تقريبا)

2– العصر الحديث (الأدب الحديث): فاتحته عهد السلطان عبد المجيد ولا خاتمة له، لأن زمانه يمتد من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا.